

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات

Qualitative Data Analysis in Communication Research: Foundations and Applications

د. بن بوزيان عبد الرحيم

جامعة الوادي،

benbouziane-abderrahim@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام 2024/10/31 تاريخ القبول 2024/11/19

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أهمية تحليل البيانات الكيفية كأداة أساسية في بحوث الاتصال لفهم التفاعلات الاتصالية بعمق يتجاوز حدود التحليل الكمي التقليدي. وتستعرض الورقة أبرز الأنماط الفكرية المؤطرة لعملية تحليل البيانات الكيفية، وتوضح دورها في تنظيم وفهم البيانات. كما تناقش أهم المقاربات المستخدمة في تحليل البيانات الكيفية، مع التركيز على الخطوات الأساسية المتبعة في كل منها. كما تستعرض التحديات التي تواجه الباحثين في التعامل مع كميات كبيرة من البيانات الكيفية وتعددية التفسيرات، مما يتطلب مهارات تحليلية متقدمة ومقاربة منظمة. بالإضافة إلى ذلك، توضح الورقة الفرق بين تحليل البيانات وتأويلها، حيث يمثل التأويل مرحلة أعمق تهدف إلى استنباط دلالات اجتماعية وثقافية شاملة من البيانات. وتستعرض الأدوات المفاهيمية للتأويل، وأهداف التأويل وسبل تقييمه. وتوصلت الورقة إلى أن التحليل الكيفي يمتلك قدرة فريدة على توفير فهم عميق للأبعاد البشرية في سياقاتها الاجتماعية والثقافية، وأن مرونة الطرق والمقاربات المختلفة تمكن الباحثين من دراسة الظواهر من زوايا متعددة. كما تؤكد على أهمية التكامل بين التحليل والتأويل في تطوير النظريات وتقديم تفسيرات مبتكرة.

الكلمات المفتاحية: تحليل كيفي، بيانات، بحوث الاتصال، تأويل.

Abstract:

This research paper aims to highlight the importance of qualitative data analysis as a fundamental tool in communication research for deeply understanding communicative interactions beyond the confines of traditional quantitative analysis. The paper reviews the most prominent cognitive frameworks that underpin the process of qualitative data analysis and elucidates their role in organizing and comprehending data. It also discusses the main approaches used in qualitative data analysis, focusing on the essential steps followed in each. Additionally, it examines the challenges researchers face when dealing with large volumes of qualitative data and the multiplicity of interpretations, which necessitates advanced analytical skills and a systematic approach. Furthermore, the paper clarifies the difference between data analysis and interpretation, where interpretation represents a deeper stage aimed at deriving comprehensive social and cultural meanings from the data. It explores the conceptual tools of interpretation, its objectives, and methods of evaluation. The paper concludes that qualitative analysis possesses a unique ability to provide an in-depth understanding of human dimensions within their social and cultural contexts, and that the flexibility of different methods and approaches enables researchers to study phenomena from multiple perspectives. It also emphasizes the importance of integrating analysis and interpretation in developing theories and offering innovative explanations.

Keys Words: Qualitative Analysis, Data, Communication Research, Interpretation.

مقدمة

تعتبر البيانات الكيفية محورا أساسيا في فهم الظواهر الاجتماعية والإنسانية، إذ إنها تهتم بالصفات والمعاني بدلا من الأرقام والإحصاءات. تعتمد هذه البيانات على دراسة التجارب الإنسانية والسلوكيات والتفاعلات في سياقاتها الطبيعية، مما يجعلها أداة بحثية فريدة لفهم أبعاد الظواهر المعقدة التي لا تستطيع البيانات الكمية معالجتها بشكل كاف. يعرف تحليل البيانات الكيفية ضمن هذا السياق، بأنه عملية منهجية تسعى إلى تنظيم البيانات غير الكمية (مثل النصوص، الأصوات، أو

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم
الصور)، وتصنيفها، وتحليلها من أجل استنباط أنماط وفئات مفيدة تسهم في تفسير الظواهر ودعم
بناء النظريات.

وعلى الرغم من الدور المحوري الذي يلعبه تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال، إلا أن
اتباع هذا النوع من التحليل يحمل معه العديد من التحديات التي تجعله أكثر تعقيدا بالمقارنة مع
التحليل الكمي. أولى هذه التحديات تكمن في التعامل مع الكمية الهائلة من البيانات غير الكمية، حيث
يتطلب ذلك تنظيما دقيقا لفهم المعاني الكامنة واستنباط الأنماط بشكل فعال. بالإضافة إلى ذلك،
فإن تعددية التفسيرات الممكنة للبيانات تزيد من صعوبة اتخاذ القرارات المتعلقة بالترميز والتصنيف
واختيار النظريات المناسبة لدعم التحليل. كذلك، تتسم العملية بكونها غير خطية، مما يعني أن
المشكلة البحثية قد لا تتضح بالكامل إلا بعد تقدم التحليل، الأمر الذي يجعل البحث عملية ديناميكية
ملئية بالتعديلات المستمرة. كما يواجه الباحث تحديا آخر يتمثل في تحقيق التوازن بين التفسيرات
التي تحترم السياقات المحلية وتلك التي تتماشى مع الأطر الأكاديمية والنظرية، وهو ما يضيف طبقة
إضافية من التعقيد.

استنادا على ما سبق ذكره، تعالج هذه الورقة البحثية الأسئلة التالية:

1. ما هي أبرز الأنماط الفكرية المؤطرة لعملية تحليل البيانات الكيفية؟
2. ما هي أهم المقاربات المستخدمة لتحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال؟
3. ما هي الخطوات الأساسية المتبعة لتحليل البيانات الكيفية؟
4. كيف يمكن تقييم عملية تحليل البيانات الكيفية؟
5. ما هي الفروق الجوهرية بين التحليل والتأويل؟
6. ما هو مفهوم التأويل؟ وما هي أهم أدواته المفاهيمية؟ وما هي أهدافه؟ وكيف يمكن تقييمه؟

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم
وتكتسب هذه الورقة أهمية خاصة من خلال تسليطها الضوء على تحليل البيانات الكيفية كأداة
أساسية في بحوث الاتصال لفهم التفاعلات الاجتماعية بعمق. كما تقدم إطاراً شاملاً للتعامل مع
التحديات المرتبطة بهذا النوع من التحليل، مما يعزز من جودته ويضمن مصداقيته. وتسعى إلى
تقديم رؤية نظرية متكاملة تساعد الباحثين على فهم البيانات الكيفية وتحليلها وتأويلها ضمن سياق
بحوث الاتصال.

1. طرق التفكير في التحليل الكيفي للبيانات

يتضمن التحليل الكيفي خمسة أنواع رئيسية من طرق التفكير كما ذكرت مليسا فريمان
(Melissa Freeman)، وهي: التفكير التصنيفي، والتفكير السردى، والتفكير الجدلي، والتفكير
الشعري، والتفكير التخطيطي. لكل نوع من هذه الأنواع نهج مختلف يساعد في تحليل البيانات
واستنتاج أفكار هامة منها. فيما يلي شرح واضح لكل نوع:

1.1. التفكير التصنيفي (Categorical Thinking): يهدف التفكير التصنيفي إلى تصنيف البيانات
وتنظيمها ضمن فئات محددة. يسعى هذا النهج للإجابة على أسئلة مثل: "ما الذي تمثله هذه القصة؟"
و"ما الفئة التي تنتمي إليها؟". يعمل التصنيف على تجميع البيانات ضمن وحدات متشابهة لمقارنتها أو
ربطها بوحدات أخرى، مما يساعد على تحديد الأنماط أو التناقضات.

2.1. التفكير السردى (Narrative Thinking): يركز التفكير السردى على بناء الأحداث وربطها لتشكيل
قصة متماسكة. يهتم هذا النهج بكيفية تقديم الأفراد لمعاني تجربتهم. الأسئلة التي يطرحها تشمل:
"ما العناصر التي تُشكّل هذه القصة؟" و"ما الخطوط السردية التي تبرز بشكل متكرر؟". يساعد هذا
النوع الباحث في فهم كيفية قيام الأفراد بتأطير أفعالهم وتفسير الأحداث من منظورهم الشخصي،
مما يعكس قيمهم وهويتهم.

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

3.1. التفكير الجدلي (Dialectical Thinking): يركز التفكير الجدلي على كشف التناقضات والتوترات الكامنة في الروايات البشرية والاجتماعية، وتحليلها للوصول إلى التحولات. والأسئلة الرئيسية التي يمكن طرحها هي: "ما القيم والمعتقدات المتناقضة في هذه القصة؟" و"كيف ساعد الحوار على إيجاد حلول؟".

4.1. التفكير الشعري (Poetical Thinking): يسعى التفكير الشعري إلى الوصول إلى التجارب الإنسانية العميقة والمشاعر التي تتجاوز السياقات المحددة. لا يسأل هذا النوع "ما معنى القصة؟" بل "كيف تسهم القصة في توسيع فهمنا للوجود الإنساني؟". يفتح هذا النهج المجال لتحليل القصة كجزء من تيار أكبر من المعاني والتجارب البشرية، ويدعو إلى استخدام الخيال والرمزية للتعمق في الفهم.

5.1. التفكير التخطيطي (Diagrammatical Thinking): يهدف التفكير التخطيطي إلى تفكيك الأنماط التقليدية وإعادة تشكيل العلاقات بين العناصر المختلفة (البشرية وغير البشرية) داخل القصة. يسأل هذا النوع: "ما الذي ينشأ عن التفاعلات بين عناصر القصة؟" و"كيف يساعد هذا التفاعل على إعادة التفكير في الموضوعات التقليدية؟". يسعى هذا النهج إلى تجاوز الحدود التقليدية للغة والمعاني، وابتكار مفاهيم جديدة لفهم العلاقات المعقدة (Freeman, 2017).

2. مقاربات التحليل الكيفي للبيانات

1.2. التحليل السردى (Narrative Analysis)

وهو أحد أنواع الأطر التحليلية التي يستخدمها الباحثون لفهم وتفسير القصص التي تُحكى في سياقات البحث أو في الحياة اليومية. يعتمد هذا النوع من التحليل على دراسة العناصر المختلفة للقصة لتقديم تفسيرات واستنتاجات ذات مغزى. هذه العناصر قد تشمل بنية القصة، ووظائفها،

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم
محتواها، وكيفية أدائها. يمكن للباحثين من مختلف المنهجيات، سواء كانت كمية أو نوعية أو حتى
تقليدية أو ما بعد حديثة، تطبيق التحليل السردى، مما يجعله مجالا واسعا ومتنوعا.

ويستمد الباحثون بيانات التحليل السردى من مجموعة متنوعة من المصادر. فقد تجمع القصص
عمدا من المشاركين من خلال مقابلات أو قصص شفوية تركز على تجارب معينة. كما يمكن أن
تستخرج من مواد موثقة في الحياة اليومية مثل اليوميات، المنشورات على وسائل التواصل
الاجتماعي، أو تفريغ الحوارات التي تسرد فيها القصص مثل المحادثات الشخصية والخطابات العامة.
يتضمن التحليل السردى أربعة أنواع رئيسية يمكن استخدامها معا في دراسة واحدة، وهي:
التحليل البنوي (Structural Analysis) الذي يركز على دراسة عناصر القصة مثل الحكمة وتكوينها،
والتحليل الوظيفي (Functional Analysis) الذي يهتم بالأغراض التي تحققها القصة نتيجة لسردها،
والتحليل الموضوعي (Thematic Analysis) الذي يعنى بمحتوى القصة وتحديد الأنماط والمواضيع
فيها، وأخيرا التحليل الحوارى أو الأدائى (Dialogic/Performance Analysis) الذي يدرس كيفية أداء
القصة وسياقات السرد وتأثيره على الهوية والتفاعلات (Parcell & Baker, 2017).

2.2. التحليل الفينومينولوجي (Phenomenological Analysis)

وهو مقارنة كيفية تسعى إلى فهم التجارب الحية للأفراد كما يعايشونها. وتهدف إلى الوصول
إلى جوهر التجربة ومعناها الحقيقي من منظور المشاركين، مع التركيز على المشاعر والتفاصيل
التي تشكلها. تعتمد هذه المقاربة على استخدام أسئلة مفتوحة وتحليل معمق لروايات المشاركين،
مما يساعد على فهم تجاربهم الشخصية بشكل كامل. تركز الفينومينولوجيا على فكرة أن الواقع
يبنى من التجارب الذاتية، مما يجعل كل تجربة إنسانية مصدرا فريدا وهاما للمعرفة (Eid & Lagacé, 2007).

2007)

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

تتضمن هذه المقاربة مجموعة من الخطوات التي تبدأ بوصف الباحث لتجاربه الشخصية المتعلقة بالظاهرة لمحاولة تحييدها، ثم استخراج العبارات المهمة من بيانات المشاركين والتعامل معها على قدم المساواة لتجميعها في وحدات ذات معنى أو موضوعات. يلي ذلك كتابة وصف نصي يركز على "ما" الذي اختبره المشاركون، ووصف بنيوي يوضح "كيف" تمت التجربة في سياقها وظروفها، وصولاً إلى وصف مركب يدمج الوصفين النصي والبنيوي لتقديم جوهر التجربة بشكل شامل. تتنوع مدارس التحليل الظواهرى، مثل طريقة موستاكاس (Moustakas) الذي يركز على الهيكل الدقيقة للبيانات، وطريقة جورجى (Giorgi) الذي يحول تعبيرات المشاركين إلى معان نفسية، وطريقة فان مانين (Van Manen) الذي يعتمد على التفكير التأملى لتحليل النصوص بشكل شامل ومفصل (Creswell, 2013).

1.2. النظرية المبنية على الواقع (Grounded Theory)

وهي مقاربة كيفية تهدف إلى تطوير نظريات غنية ودقيقة تستند إلى البيانات الميدانية، وقد طوّرها بارني غلاسر وأنسلم شتراوس (Barney Glaser and Anselm Strauss) لفهم الظواهر الاجتماعية المعقدة من خلال استخراج النظرية مباشرة من البيانات. تعتمد على عملية تكرارية تجمع بين جمع البيانات وتحليلها باستخدام الترميز المفتوح لتصنيف البيانات، والترميز المحوري لربط الفئات الفرعية بفئات رئيسية، والترميز الانتقائي للتركيز على الفئة المركزية. يتم التحليل حتى الوصول إلى حالة التشبع، حيث لا تضيف البيانات الجديدة أي رؤى إضافية أخرى. وتشمل مخرجاتها نظريات مقترحة ذات افتراضات محددة أو نظريات نقاشية تدمج التحليل مع أمثلة واقعية.

يمكن تطبيقها بطرق مختلفة مثل المقاربة الغلاسرانية (The Glaserian approach)، وهي مقاربة طورها غلاسر وشتراوس. تتميز بالتركيز على تطوير نظرية جديدة بشكل طبيعي من

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

البيانات دون التأثير بالنظريات السابقة. يهتم الباحث هنا بجمع البيانات بشكل مفتوح ومرن، مما يسمح للنظرية أن تتطور تدريجياً بناءً على ما تظهره البيانات. والمقاربة الشتراوسية (The Straussian approach)، التي طورها شتراوس، وتم تحسينها بفضل مساهمة جوليت كوربين (Juliet Corbin). تتميز هذه المقاربة بأنه أكثر تنظيماً وتستخدم إطاراً منهجياً يربط بين الفئات والعلاقات لفهم الظاهرة. تركز على ربط العمليات والأحداث لتطوير نظرية شاملة تُفسر الظاهرة المدروسة من خلال أسئلة مثل: لماذا تحدث؟ كيف تحدث؟ وما هي النتائج؟ والمقاربة البنائية (constructivist approach) التي طورها كاثي شارماز (Kathy Charmaz)، وتركز على دور الباحث في تفسير وفهم الظاهرة، حيث تعتبر الباحث مشاركاً في بناء النظرية من خلال تفاعله مع البيانات. كما تتميز بالمرونة والتركيز على كيفية تفسير المشاركين والباحث للظواهر، بدلاً من التركيز فقط على وصفها أو التنبؤ بها (Valde, 2017).

4.2. التحليل الإثنوغرافي (Ethnographic Analysis)

وهي مقارنة كيفية تسعى لفهم السلوك البشري ضمن سياقه الثقافي الذي يحدث فيه. وتهدف إلى وصف مجموعة ثقافية من خلال ملاحظة طويلة المدى لأنماط الحياة اليومية، بما يشمل السلوك، اللغة، العادات، والتفاعلات. يعمل الباحث ضمن هذه المقاربة كطالب يتعلم من المشاركين الذين يعتبرون معلمين، حيث يسعى لفهم معاني أفعالهم وتجاربهم من وجهة نظرهم الخاصة. ويتمثل الهدف الأساسي للإثنوغرافيا في الكشف عن المعاني الضمنية التي تشكل الثقافة، مع التركيز على العناصر التي توجه طريقة تفكير المجموعة وتفاعلاتها (Eid & Lagacé, 2007).

وهو مقارنة تحليلية كيفية تتشكل من ثلاث مراحل رئيسية وهي: الوصف، والتحليل، والتفسير. يبدأ الباحث بوصف موضوعي ودقيق للبيئة والجماعة، مع التركيز على سرد الوقائع والأحداث دون

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

تحليل أو تعليق، مما يتيح للقارئ رؤية ما شاهده الباحث. وفي مرحلة التحليل، يتم فرز البيانات لإبراز الأنماط المنتظمة، واستخدام أدوات مثل الجداول والمخططات لعرض النتائج، مع إمكانية مقارنة الجماعة الثقافية (culture-sharing groups) بجماعات أخرى أو ربطها بأطر نظرية أكبر. أما التفسير، فيهدف إلى استخراج معان عميقة من البيانات من خلال التساؤل عن دلالاتها، حيث يقدم الباحث استنتاجات شخصية أو إبداعية، مثل استخدام الشعر أو الخيال (Creswell, 2013).

3. الخطوات الأساسية في التحليل الكيفي للبيانات

يتضمن التحليل الكيفي للبيانات في بحوث الاتصال مجموعة من الخطوات المتداخلة التي تهدف إلى تحويل البيانات الخام إلى تفسير مستند إلى الأدلة. تساعد هذه الخطوات الباحثين في تحليل البيانات الكيفية بعمق لتقديم تفسيرات غنية ومتعددة الجوانب للمواقف أو الظواهر التي يدرسونها. ويصف كريسويل (Creswell) عملية تحليل البيانات الكيفية بدوامة التحليل التي تعني تلك العملية غير الخطية والدائرية، تتضمن تفاعلا مستمرا بين جمع البيانات، وتحليلها، وكتابة التقرير النهائي للبحث، حيث تتداخل هذه الخطوات بدلا من أن تكون مراحل منفصلة. يبدأ الباحث بالتعامل مع البيانات كنصوص أو صور وينتهي بإنشاء سرد أو تقرير بحثي، وخلال هذه العملية يمر بمراحل متكررة تشمل تنظيم البيانات، قراءتها وتدوين الملاحظات، ووصفها وتصنيفها وتفسيرها، ومن ثم تمثيلها وتصويرها بصريا. يشبه كريسويل هذا التحليل بحركة لولبية حيث يمر الباحث بمختلف جوانب التحليل عدة مرات، مما يظهر طبيعة البحث الكيفي التي تتسم بالمرونة والتطور أثناء الممارسة العملية (Creswell, 2013).

وتقترح جوان كيتون (Joann Keyton) الخطوات التالية:

1. القراءة الأولية وفهم البيانات: يبدأ الباحث بقراءة جميع الملاحظات أو النصوص التي جمعها عدة مرات لفهم المحتوى العام والبدء في تحديد الأنماط والموضوعات الواسعة. على سبيل المثال، قيام أحد الباحثين بإجراء مقابلات مع عينة من الصحفيين حول استخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي. في هذه الخطوة، يقرأ الباحث جميع النصوص أو يراجع تسجيلات المقابلات عدة مرات لفهم السياق العام واستيعاب الأفكار الرئيسية التي يتحدث عنها المشاركون.

2. كتابة المذكرات التحليلية: يساعد تدوين الانطباعات الأولية والتفسيرات المبدئية الباحث في فصل أفكاره عن البيانات ويساعده على تحديد أسئلة أو موضوعات تحتاج إلى مزيد من الدراسة. فمثلاً، يكتب الباحث مذكرات تتضمن ملاحظات حول انطباعاته الأولية وذلك بعد قراءة المقابلات، فقد يكتب الباحث: "يبدو أن معظم الصحفيين يواجهون تحديات في التوازن بين المهنية وضغوط الجمهور على منصات التواصل الاجتماعي".

3. التصنيف والترميز: يتم تصنيف البيانات إلى وحدات معنوية وإعطائها رموزاً أو تسميات قصيرة لتمثيل الأنماط أو الموضوعات المختلفة. يمكن أن تستند الفئات إلى الأدبيات أو تظهر بشكل استقرائي من البيانات. فقد يبدأ الباحث مثلاً بتصنيف البيانات إلى وحدات مثل "ضغوط الجمهور" و"المهنية الصحفية" و"استراتيجيات التفاعل". ثم يعطي رموزاً مثل أ1 (الضغط من الجمهور) وأ2 (المهنية الصحفية) وأ3 (استراتيجيات التفاعل).

4. مراجعة الفئات وتطويرها: يتم قراءة البيانات مرة أخرى وتعديل الفئات بناءً على المزيد من الفهم والتحليل. وغالباً ما يتم اكتشاف حالات خاصة أو تناقضات تؤدي إلى توسيع الفئات أو تعديلها. فمثلاً، قد يلاحظ الباحث أن فئة "استراتيجيات التفاعل" خلال إعادة القراءة، تحتاج إلى

تقسيم فرعي لتشمل "الاستجابة للتعليقات السلبية" و"التفاعل مع المحتوى الإيجابي"، حيث يتم تعديل الرموز لتعكس هذا التطور..

5. التحليل التكراري والمقارن المستمر: يتم مقارنة الأجزاء المختلفة من البيانات مع بعضها البعض لتطوير فهم شامل للأنماط والعلاقات بينها. وكمثال على ذلك، يمكن أن يقارن الباحث بين البيانات التي تتعلق بفئة "المهنية الصحفية" والبيانات المتعلقة بـ "ضغوط الجمهور" ليجد تداخلات بينهما، مثل استخدام الصحفيين لاستراتيجيات محددة للحفاظ على التوازن بين المهنية والتفاعل مع المتابعين.

6. ترميز المحور: يتم ربط الفئات معاً بطريقة معنوية لتعزيز الفهم العام. فمثلاً: قد يربط الباحث فئات مثل "استراتيجيات التفاعل" و"المهنية" بفئات أخرى مثل "التحديات الأخلاقية" لتكوين فهم أعمق للعلاقات بين هذه المفاهيم.

7. التفسير: يتم تفسير الأنماط والموضوعات وفهم المعاني والاتجاهات التي ظهرت من البيانات. يتطلب ذلك الانتقال من مستوى التحليل الجزئي إلى مستوى أوسع لدمج الفئات في إطار شامل. فقد يستخلص الباحث أن "الصحفيين يستخدمون مزيجاً من استراتيجيات التفاعل للحفاظ على مصداقيتهم المهنية، مما يساعدهم على التعامل مع ضغوط الجمهور دون المساس بمبادئهم الصحفية."

8. تأكيد المصداقية والموثوقية: يتم استخدام اقتباسات المشاركين، التحقق من المصداقية، مراجعة الأقران، وتثليث البيانات (triangulation) للتحقق من دقة النتائج وتعزيز الثقة فيها. وكمثال على ذلك، يمكن أن يعرض الباحث النتائج على مجموعة من الصحفيين للتحقق من

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

دقة التفسير ويستخدم اقتباسات مثل "الضغط اليومي من القراء يفرض علينا تغيير الطريقة التي نتعامل بها مع الأخبار."

9. التشبع النظري: يتوقف الباحث عن جمع المزيد من البيانات عندما يجد أن جميع البيانات يمكن ترميزها وتصنيفها في الفئات الموجودة وأنه لا توجد معلومات جديدة تُضاف. فثلاً، يمكن أن يجد الباحث أنه بعد مراجعة جميع المقابلات، لم تظهر أي فئات جديدة، ويلاحظ أن جميع الأفكار تتكرر ضمن الفئات المحددة بالفعل، ما يشير إلى الوصول إلى مرحلة التشبع النظري.(Keyton, 2023).

يشمل التحليل الكيفي للبيانات حسب توماس ليندلوف وبرايين تايلور (Thomas Lindlof and Bryan Taylor) مجموعة من الخطوات، تتضمن:

إدارة البيانات (Data Management): يشمل ذلك تنظيم وتخزين البيانات بطريقة تسهل الوصول إليها وتحليلها. يمكن استخدام الأدوات اليدوية مثل الملفات الورقية أو البرامج المخصصة لتنظيم البيانات مثل برامج التحليل الكيفي.

تقليل البيانات (Data Reduction): يتضمن هذا التركيز على الأدلة ذات الأهمية الكبرى وتجاهل البيانات التي قد تكون غير ضرورية للتحليل الحالي. هذه الخطوة تساهم في تحديد الأدلة التي ستستخدم لبناء الفرضيات والمفاهيم.

التطوير المفاهيمي (Conceptual Development): في هذه الخطوة، تُستخدم البيانات لإنشاء مفاهيم وفئات تحليلية. تتطور هذه المفاهيم عبر المراحل المختلفة من المشروع، مما يساعد على ربط البيانات ببعضها بشكل أعمق وإظهار الأنماط والعلاقات.

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

الكتابة أثناء العملية (In-Process Writing): تتضمن الكتابة التحليلية الجارية مثل الملاحظات الجانبية والتعليقات والمذكرات الأولية، والتي تساعد الباحث في التفكير بشكل أعمق حول البيانات وتنظيم الأفكار.

تصنيف البيانات وإنشاء رموز (Categorization and Coding): تبدأ العملية عادة بترميز البيانات الأولية المفتوح وتطوير الفئات التي تبرز من البيانات. تستخدم الرموز كأدوات لتنظيم وربط البيانات بالفئات التي أنشئت.

تحليل الحالات السلبية (Negative Case Analysis): يتم البحث عن الحالات التي لا تتفق مع الفرضيات الأولية للبحث، وتستخدم هذه الحالات لتحسين وتعديل الفرضيات لضمان تفسير أوسع وأكثر دقة.

التحقق من خلال التحقق من الأعضاء (Member Validation): يشمل إعادة تقديم النتائج للأعضاء المشاركين للتأكد من دقة الفهم وتقديم التعليقات.

تطوير التفسيرات (Interpretation): تستخدم المفاهيم والأنماط لتقديم تفسيرات أعمق للبيانات، مع استخدام الأساليب مثل المقارنات الاستقرائية، الاستدلالات، وأدوات الاستعارة.

التأكد من المصادقية (Validation Techniques): يتم استخدام تقنيات مثل التنوع في المصادر (Triangulation)، التحليل المتعدد، والتحقق من الحالات السلبية لضمان موثوقية النتائج (Lindlof & Taylor, 2011).

تتضمن خطوات تحليل البيانات الكيفية وفقاً لكريسويل (Creswell) ما يلي:

إدارة البيانات (Data Managing): تبدأ العملية بتنظيم البيانات في ملفات، وتحويلها إلى وحدات نصية مناسبة لتحليلها يدوياً أو باستخدام برامج الحاسوب.

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

القراءة وتدوين الملاحظات (Reading and Memoing): الاطلاع على البيانات بأكملها عدة مرات لالتقاط الأفكار الرئيسية وتدوين الملاحظات في الهوامش أو بجانب النصوص والصور.

الوصف والتصنيف والتفسير (Describing, Classifying, and Interpreting): بناء أوصاف تفصيلية، تطوير رموز أو فئات، وتشكيل تفسيرات بناء على وجهات النظر الخاصة أو من الأدبيات الأكاديمية.

الترميز (Coding): تصنيف النص أو البيانات البصرية إلى فئات صغيرة وربط النصوص مع هذه الرموز. يتم تقليل الرموز المبدئية إلى عدد قليل من الفئات الأساسية أو المواضيع النهائية.

التفسير (Interpreting): استنباط المعاني العامة من البيانات وتقديم "الدروس المستفادة"، بما يشمل ربط التفسيرات بالأدبيات الأكاديمية الموجودة أو تقديم رؤى شخصية.

التمثيل والتصور (Representing and Visualizing): عرض النتائج بصور نصية، جداول، أو رسوم توضيحية مثل المخططات الهرمية أو الجداول المقارنة. قد تشمل هذه المرحلة أيضاً استخدام الميتافورات والأجهزة الأدبية لتحليل البيانات (Creswell, 2013).

عند مقارنة خطوات التحليل النوعي للبيانات كما أوضحتها كيتون (Keyton)، ليندلوف وتايلور (Lindlof & Taylor)، وكريسويل (Creswell)، نجد العديد من النقاط المشتركة. تبدأ جميع النماذج بإدارة وتنظيم البيانات لضمان سهولة الوصول إليها وتحليلها، وتؤكد على القراءة الأولية للبيانات لفهمها بعمق. كما تشمل جميع النماذج عملية التصنيف والتميز لتحديد الأنماط الرئيسية. وتعتبر عملية تطوير الفئات والمفاهيم واستخلاص الأنماط خطوة مشتركة تساعد على فهم العلاقات بين البيانات، مع التركيز في النهاية على تفسير هذه الأنماط لتقديم رؤى شاملة. إضافةً إلى ذلك، يتم التأكد من مصداقية النتائج باستخدام تقنيات مثل التحقق من الأعضاء وتثليث البيانات.

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

تتباين أساليب التحليل في بعض الخطوات والتفاصيل. تُبرز كيتون (Keyton) أهمية كتابة المذكرات التحليلية الأولية لتحديد الأسئلة والموضوعات، وهي خطوة لم تذكرها النماذج الأخرى بشكل واضح. يركز ليندولف وتايلور (Lindlof & Taylor) بشكل خاص على تحليل الحالات السلبية لتحسين وتعديل الفرضيات، بينما يهتم كريسويل (Creswell) بالتمثيل البصري للبيانات من خلال الجداول والرسوم التوضيحية. كما تضمّن كيتون (Keyton) خطوة ترميز المحور لربط الفئات ببعضها، وهي خطوة غير مذكورة بشكل صريح في أسلوب ليندولف وتايلور (Lindlof & Taylor) وكريسويل (Creswell). أما مفهوم التشعب النظري فقد تناولته كيتون (Keyton) بشكل أوضح، بينما يظهر ضمناً في الأساليب الأخرى.

4. معايير تقييم التحليل

يعتمد الباحث عند تحليله للبيانات الكيفية، على مجموعة من المعايير لضمان الدقة والمصداقية. وتشمل هذه المعايير المصداقية (Credibility) التي تعزز من خلال التخطيط الجيد والتوثيق الشامل والانخراط المستمر مع المشاركين، إلى جانب استخدام التحقق من الأعضاء لمراجعة النتائج الأولية. كما يعتبر التثليث (Triangulation) عنصراً أساسياً لتحسين موثوقية النتائج، ويتم ذلك باستخدام مصادر وأساليب متعددة لجمع البيانات أو إشراك عدة باحثين لتحليلها. يعد التشعب النظري (Theoretical Saturation) علامة على اكتمال التحليل، حيث يتم تصنيف جميع البيانات ضمن الفئات دون ظهور فئات جديدة. يتم استخدام الاقتباسات التوضيحية (Participant Quotes) لدعم التحليل وإبراز النقاط الرئيسية بشكل يعطي القارئ فهماً واضحاً للأنماط والمفاهيم. وتعتبر الشفافية والتوثيق المستمر (Transparency and Documentation) مثل كتابة المذكرات التحليلية ضرورياً لتتبع الأفكار الأولية ومراجعة الافتراضات. يتم تصنيف البيانات وترميزها (Coding and

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

(Categorization) لتبسيطها وتحديد الفئات أو المفاهيم، والتي قد تكون مستوحاة من الأدبيات أو نابعة من البيانات نفسها. يعتمد التحليل الكيفي على التحليل التكراري (Iterative Analysis)، حيث تتم مراجعة البيانات ومقارنتها بشكل دوري لفهم العلاقات بين الفئات وتحسين التحليل. كما يستخدم تحليل الأنماط (Thematic Analysis) لتحديد الموضوعات الرئيسية بناءً على معايير مثل التكرار والقوة والتعبير. وأخيراً، يجب الأخذ بعين الاعتبار جانب الأخلاقيات (Ethical Considerations) لضمان أن التحليل نابع مع البيانات وأن التفسيرات لا تتعارض مع معاني المشاركين وسياقاتهم، مما يعزز الموثوقية والقيمة العلمية للنتائج (Keyton, 2023).

5. الفرق بين تحليل البيانات وتأويلها في البحوث الكيفية

يمثل التحليل (Analysis) في سياق البحوث الكيفية في مجال الاتصال، الخطوة الأولى التي يتم من خلالها التعامل مع البيانات الخام بطريقة منظمة، حيث يهدف التحليل إلى تفكيك هذه البيانات إلى أجزاء صغيرة، وتصنيفها إلى فئات أو رموز تعكس خصائصها المشتركة. ويعتمد على أدوات منهجية مثل التفكير الاستقرائي (الذي يستنبط قواعد عامة من التفاصيل الجزئية) والاستنباطي (الذي يختبر القواعد أو الفرضيات في سياقات جديدة). في نهاية هذه المرحلة، يكون الهدف هو بناء هيكل منظم يساعد الباحث على تحديد الأنماط والروابط داخل البيانات، مما يمهد الطريق لمرحلة التأويل.

أما التأويل (Interpretation) فهو المرحلة التالية التي تنتقل بالبيانات من التنظيم إلى الفهم العميق. ويسعى الباحث من خلال عملية التأويل إلى استكشاف المعاني والدلالات الثقافية والاجتماعية التي تنطوي عليها البيانات. ويعتمد التأويل على التفكير الإبداعي بالإضافة إلى النظر في السياقات التاريخية والاجتماعية للظاهرة محل الدراسة. في هذه المرحلة، يستخدم الباحث النظريات والخبرات

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم
والخيال لربط البيانات بحقائق جديدة أو تفسيرات مبتكرة. بالتالي، يتحول التحليل إلى رؤية أوسع
تلقي الضوء على أبعاد الظاهرة المدروسة.

6. التأويل (Interpretation)

1.6. مفهوم التأويل

يمكن تعريف التأويل على أنه هو عملية إعطاء معنى للأنماط، الموضوعات، والمفاهيم
المستخرجة من البيانات. ويعتبر الخطوة التي تلي تحليل البيانات، حيث يتحول الباحث من إطار دقيق
يتضمن الترميز والتصنيف إلى إطار شامل يحلل البيانات ككل. وبعبارة أخرى، فإن التأويل يعبر عن
ترجمة الفئات والمفاهيم إلى كل متكامل ومعنى أعمق (Keyton, 2023). وهو أيضا عملية ترجمة
موضوع التحليل من إطار دلالي معين إلى إطار دلالي آخر. ويهدف التأويل إلى بناء فهم أعمق وأكثر
شمولية للبيانات من خلال ربط المعاني الأولية المستمدة من التحليل المفتوح بمعان ثانوية تعتمد
على المفاهيم النظرية والتفسيرية. بمعنى آخر، يمكن فهم التأويل على أنه إعادة قراءة البيانات
لفهم سياقاتها ودلالاتها على مستويات أوسع باستخدام الخيال النظري والربط الرمزي (Lindlof &

Taylor, 2011)

2.6. الأدوات المفاهيمية للتأويل

تعتمد عملية التأويل على استخدام أدوات مفاهيمية متعددة تساعد الباحث على تفسير البيانات
بشكل غني ومعقد. وفيما يلي أهم الأدوات المفاهيمية المستخدمة في التأويل:
المجاز (Metaphoric) المجاز أداة تستخدم لربط فكرة اجتماعية معينة بشيء مختلف تمامًا لتوضيح
الفكرة وتعزيز فهمها. مثال: وصف العلاقات المتباينة داخل المجموعات الاجتماعية بمجاز "الانقسام" أو
تصوير التفاعل العام على وسائل الإعلام بمجاز "المحادثة".

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

المجاورة (Metonymic) علاقة يُعتبر فيها جزء من الظاهرة تمثيلاً رمزياً للكل. مثال: دراسة مشكلات الصحفيات كتمثيل لقضايا المرأة في الإعلام بشكل عام.

المفارقة (Irony) التعبير عن التناقض بين التوقعات والواقع الفعلي من خلال السخرية أو التناقض. مثال: دراسة سلوكيات النساء في منظمات نسائية تُظهر سمات كالغيرة والحسد على الرغم من الصور النمطية الإيجابية عن إدارة النساء.

التسلسل السردى (Syntagmatic) تحليل النشاطات التي تتبع أنماطاً سردية أو زمنية متكررة لفهم هيكلها ومعانيها. مثال: تحليل قصص عائلية لتأكيد أهمية الروابط الأسرية.

التضاد (Paradigmatic) استخدام مجموعات متعارضة من المفاهيم لفهم الثقافة أو القضايا الاجتماعية. مثال: دراسة تصورات المهاجرين الهنود عن الهند باستخدام ثنائيات مثل "الريف مقابل المدينة" أو "الفقر مقابل الثروة" (Lindlof & Taylor, 2011).

3.6. أهداف التأويل

- تحويل الأنماط المستخرجة إلى رؤية واضحة وشاملة عن الظاهرة المدروسة.
 - تفسير البيانات بطريقة تساعد على فهم المعنى الأعمق للتفاعلات والظواهر.
- يعتبر التأويل جزء حيويًا من التحليل الكيفي، إذ يمكّن الباحث من تقديم فهم شامل للبيانات يتجاوز وصفها إلى تقديم تفسيرات أعمق وأشمل (Keyton, 2023).

4.6. تقييم التأويل

يتطلب تقييم التأويل استخدام العديد من الطرق المتنوعة والمتكاملة، تشمل فحص الصدق والثبات، والتثليث، وتحليل الحالات السلبية، والتثبت من الأعضاء. ويهدف هذا التقييم إلى تقديم

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

تفسير عميق وموثوق يعكس التعقيد والخصوصية في الظواهر الاجتماعية، مع التركيز على الشفافية والمرونة في العملية البحثية. ويتم التقييم من خلال عدة خطوات وأدوات كيفية.

ويتطلب تقييم التأويل في البحوث الكيفية استخدام مجموعة من الأدوات لضمان جودة التفسيرات ومصادقيتها. يبدأ التقييم بالتركيز على الصدق، الذي يشمل الصدق الداخلي للتحقق من ارتباط التفسيرات بالظاهرة المستهدفة، والصدق المفاهيمي لربط المؤشرات التجريبية بالنظرية، والصدق الخارجي لتحديد إمكانية نقل النتائج إلى سياقات مشابهة من خلال وصف مكثف. كما يتم فحص الثبات عبر تقييم ثبات الأنماط أو استخدام أكثر من محلل لضمان توافق التفسيرات. وتعد تقنية التثليث أساسية للمقارنة بين مصادر متعددة للبيانات أو الأساليب، مما يعزز مصداقية النتائج. كما يضاف إلى ذلك تحليل الحالات السلبية (Negative Case Analysis)، الذي يركز على تعديل التفسيرات عند ظهور بيانات تتعارض مع الأنماط الرئيسية، مما يؤدي إلى تحسين التفسير وزيادة شمولية النتائج. وإلى جانب ذلك، يستخدم أيضا التثبيت من الأعضاء (Member Validation)، حيث يعرض التفسير على المشاركين للتحقق من دقته وإنصافه. وأخيرا، يعتمد على التبلور (Crystallization) كبديل للتثليث، حيث يتم دمج وجهات نظر وأساليب متنوعة لتقديم تفسير غني يعكس تعددية المعاني وتعقيد الظواهر دون الادعاء بوجود تفسير شامل أو موضوعي. تجمع هذه الأدوات بين المرونة والشفافية لضمان تقديم تأويلات دقيقة ومقنعة تعكس التعقيد الاجتماعي والثقافي للظواهر المدروسة (Lindlof & Taylor, 2011).

خلاصة

سلط هذه الورقة البحثية الضوء على أهمية تحليل البيانات الكيفية كأداة منهجية لفهم التفاعلات والسلوكيات الإنسانية بعمق يتجاوز حدود التحليل الكمي التقليدي. وناقشت الورقة المنهجيات

تحليل البيانات الكيفية في بحوث الاتصال: الأسس والتطبيقات _____ د. / بن بوزيان عبد الرحيم

المختلفة لتحليل البيانات الكيفية، مع التركيز على أدوات مثل التحليل السردى، والتحليل الفينومينولوجى، والنظرية المبنية على الواقع، والتحليل الإثنوغرافى. كما أبرزت بعض أساليب التفكير المتعلقة بالتحليل الكيفى مثل التفكير التصنيفى، والسردى، والجدلى، والشعرى، والتخطيطى، ودورها فى تنظيم وفهم البيانات. كما تناولت هذه الورقة الخطوات العملية لتحليل البيانات، بدء من جمعها وتصنيفها وصولاً إلى استخراج الأنماط وتفسيرها. بالإضافة إلى ذلك، وضّحت الورقة الفرق بين التحليل والتأويل، حيث يمثل الأخير مرحلة أكثر عمقا لرسم دلالات اجتماعية وثقافية شاملة من البيانات.

وقد توصلت الورقة إلى بعض النتائج منها:

1. تفوق التحليل الكيفى: يظهر التحليل الكيفى قدرته على تجاوز الحواجز الكمية من خلال توفير فهم عميق للأبعاد البشرية فى سياقاتها الاجتماعية والثقافية.
 2. مرونة الطرق: تبرز أهمية الطرق المختلفة مثل التحليل السردى والنظرية المبنية على الواقع فى تمكين الباحثين من دراسة الظواهر من زوايا متعددة.
 3. التحديات العملية: أظهرت الورقة صعوبات تتعلق بالتعامل مع كميات كبيرة من البيانات الكيفية وتعددية التفسيرات، مما يتطلب مهارات تحليلية متقدمة ونهجاً منظماً.
 4. التكامل بين التحليل والتأويل: يشكل التأويل خطوة حيوية لتحويل الأنماط المستخرجة إلى رؤية شاملة تساهم فى تطوير النظريات وابتكار تفسيرات مبتكرة.
- وفى الأخير، تؤكد هذه الورقة على أن التحليل الكيفى ليس مجرد وسيلة بحثية بل هو مقاربة فكرية متكاملة لفهم الظواهر الاجتماعية. وتقترح الورقة ضرورة استثمار المزيد من الجهود البحثية لتطوير الأدوات والأساليب الكيفية بما يواكب تطورات العصر ويوفر رؤى شاملة ودقيقة.

المراجع

- Creswell, J. W. (2013). *Qualitative Inquiry and Research Design : choosing among five approaches* (Third ed.). California: SAGE Publications, Inc.
- Eid, M., & Lagacé, M. (2007). *Communication research methods : quantitative and qualitative approaches*. Boston: Pearson Custom Publishing.
- Freeman, M. (2017). *Modes of thinking for qualitative data analysis* New York, NY: Routledge.
- Keyton, J. (2023). *Communication research : asking questions, finding answers* (Sixth ed.). New York, NY: McGraw Hill LCC.
- Lindlof ,T. R., & Taylor, B. C. (2011). *Qualitative Communication Research Methods* (Third ed.). California: SAGE Publications, Inc.
- Parcell, E. S., & Baker, B. M. A. (2017). Narrative Analysis. In M. Allen (Ed.), *The SAGE Encyclopedia of Communication Research Methods* (Vol. 3, pp. 1069-1072). California: SAGE Publications, Inc.
- Valde, K. S. (2017). Grounded Theory In M. Allen (Ed.), *The SAGE Encyclopedia of Communication Research Methods* (Vol. 2, pp. 630-633). California: SAGE Publications, Inc.